ديوانُ آلِ البيتِ :

وديوانُ آلِ البيتِ بالدَّمعِ أكتبُ . وبالدَّمِ مِنْ قلبي وبالحبرِ أسكبُ

وذاكَ لأنَّ الكلَّ منهمْ محبَّبٌ . إلى القلبِ إذْ كلٌّ لأحمدَ ينسبُ

(٤)

قصيدةُ

أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ الصِّدِّيقةِ رضيَ اللهُ تعالى عنها

بنتِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ تعالى عنه

بقلم

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية (سابقًا)

جامعة أمِّ القرى بمكة المكرمة

وقفٌ على معهد الدراسات القرآنية للبنات بمكة المكرمة

العنوان : ١٢ شارع الحضارة . الرُّصَيْفَة

خلف مسجد الأمير أحمد

ص . ب ٩٥٠٩ ، رمز بريدي ٢١٩٥٥

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا العمل بعنوان: قصيدة أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها، بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، عبارة عن قصيدة رائية من بحر الطويل تقع من ٤٥٠ أربعة آلاف وخمسمائة وبيت واحد. ومطلعها:

وَمَنْ زَوْجَةُ البِكْرُ؟ عَائِشَةُ الطُّهْرِ ... أَلَا إِنَّهَا بِنْتُ الخَلِيلِ أَبِي بَكْرِ

ويسبق القصيدة تمهيد، وهو عبارة عن إيماءة إلى بعض القضايا التي تعين على فهم القصيدة، والتي عُنِيَتْ القصيدة بمعالجتها، إذ إن بين التمهيد والقصيدة تكاملاً.

وهذه القصيدة هي الرابعة من سلسلة قصائد ديوان آل البيت، هذا من حال طرح القصيدة العلوية، في سيرة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، حيث إنها القصيدة الرابعة من القصائد العشر تحت عنوان: القصائد العطرة من المبشرين بالجنة العشرة. وهذه هي القصائد الثلاث السابقة من ديوان آل البيت ١- قصيدة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ٢- قصيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها بنت محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ٣- قصيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها.

إن بين قصيدة أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبين التمهيد تكاملاً. إن لعائشة الصديقة الكثير من النعوت والخصائص. فهي بنت أبي بكر الصديق أول خليفة، وأحب زوجة صلى الله عليه وسلم بعد خديجة

رضي الله تعالى عنها، أول زوجاته صلى الله عليه وسلم والتي توفيت بمكة المكرمة قبل زواجه بعائشة رضي الله تعالى عنها بثلاث سنوات.

إن عائشة رضي الله تعالى عنها أعلم نساء الأمة، ويسبقها من رواية الحديث النبوي الشريف رجلان اثنان فقط، أولهما أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وآخرهما عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما. وقد تفرغت عائشة وأمهات المؤمنين، رضوان الله تعالى عليهن، لنشر العلم بين المسلمات، والدعوة إلى الله تعالى. وقد نشأ الله تعالى لعائشة من الأجل وبارك من العمل. وكانت رضي الله تعالى عنها محط سؤال كبار علماء الصحابة والإجابة من وراء حجاب على أسئلتهم، وطلبوا العلم، من أم المؤمنين التي كان صلى الله عليه وسلم يحبها حباً جماً، والتي نزل جبريل عليه السلام بالوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، والرسول معها في لحافها وحدها دون غيرها من أمهات المؤمنين، رضوان الله تعالى عليهن أجمعين.

والغيرة من حياة أمنا رضي الله تعالى عنها، وفي حياة أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن أجمعين دور كبير من الحرص على كسب قلب محمد صلى الله عليه وسلم. وهذه الغيرة تكون أحياناً فردية، وأحياناً حزبية. فعائشة زعيمة حزب من زوجات صلى الله عليه وسلم، وزينب بنت جحش زعيمة الحزب الآخر. وكانت هذه الغيرة قوية أحياناً إلى المستوى الذي نزلت من أجله سورة التحريم.

وحينما كانت لحمة صلى الله عليه وسلم الكلمة الأولى في جزيرة العرب، بعد غزوة الأحزاب، وغزوة بني قريظة، أراد أمهات المؤمنين أن يكون للواحدة منهن من نعيم الدنيا ما لزوجات كسرى وقيصر، ولم يكن عنده صلى الله عليه وسلم شيء من حطام الدنيا، فآذاه هذا الطلب، وآلى أن يعتزلهن شهراً. وبعد انتهاء الشهر نزلت

آيات التخيير لهن في سورة الأحزاب بين اختيار الدنيا وزينتها والزائل، وبين اختيار الدار الآخرة، فاخترن جميعهن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة، وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة لأنها أحب زوجاته إلى قلبه.

وقد سألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم: هل سألت واحدة من زوجاتك قبلي؟ وكما كانت الإجابة بالنفي طلبت منه أن يكتم عنهن رأيها فأبى صلى الله عليه وسلم ذلك، وأعلن إباءه فقد بعثه الله تعالى ميسرا ولم يبعثه معسرا.

ومن خطر مسألة تعرضت لها أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها حادثة الإفك التي برأها الله تعالى منها في عشر آيات كريمات من سورة النور الكريمة.

وليجاب أمنا عائشة التي ليست لواحدة من نساء الأمة فقد وعت الصديقة الأمة من خلالها على لسان أمنا، فحثت الأمة على الاستمساك بهدي القرآن الكريم والسنة المطهرة.

والله تعالى نسأل أن يتقبل هذا العمل، ويبارك فيه، ويضع له القبول، وينفع به، إنه سميع مجيب. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

ضحى يوم الأربعاء ١٤٣٩/٤/٢٣هـ كتبه الفقير إلى عفو ربه

الموافق ٢٠١٨/١/١٠م أ.د. حسن محمد باجودة

مكة المكرمة أستاذ الدراسات القرآنية البلاغية (سابقا)

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

تمهيد :

ويشتمل التمهيد على ما يلي :

نسب أم المؤمنين وحياتها .

علم أم المؤمنين .

غارت أمكم .

هو يا أيها النبي قل لأزواجك .

حادثة الإفك .

نسب أمّ المؤمنين وحياتها:

عائشة، أمّ المؤمنين ٩ ق هـ - ٥٨ هـ = ٦١٣ - ٦٧٨ م (١)

وعائشة بنت أبي بكر الصدّيق عبد الله (٢) بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عُمَيْر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشيّ التيميّ (٣) يلتقي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مُرّة بن كعب (٤)

وأمّ عائشة أمّ رومان بنت عامر بن عويمر الكنانيّة (٥)

وُلدت عائشة بعد المبعث بأربع سنين أو خمس (٦) تزوّجها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحبّ نسائه إليه، وأكثرهنّ رواية للحديث عنه (٧) ولم يتزوّج عليه الصلاة والسلام بكراً غيرها (٨) وكانت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قد ذكرت عائشة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم (٩)

---

(١) الأعلام ٣/٢٤٠

(٢) الأعلام ٣/٢٤٠

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٨١

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٨١

(٥) الإصابة ٤/٣٥٩

(٦) الإصابة ٤/٣٥٩

(٧) الأعلام ٣/٢٤٠

(٨) نور اليقين ٧٣

(٩) الإصابة ٤/٣٥٩

وذلك بعد وفاة خديجة (١) أصبحت خولة بنت حكيم فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان فقالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: وماذاك. قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة. قالت عد إذا. انتظر أبا بكر. فجاء أبو بكر فذكرت له. فقال: وهل تصلح له وهي بنت أخيه. فرجعت فذكرت ذلك لنبي صلى الله عليه وسلم قال: قولي له أنت أخي في الإسلام. وابنتك تحل لي. فجاء فأنكحه، وهي يومئذ بنت ست سنين (٢)

وكانت عائشة قد خطبها المطعم لابنه جبير. وشاء الله تعالى أن يعيد المطعم وآله النظر في هذا الزواج، وذلك بسبب اصطدام أبي بكر الصديق وتفانيه في نشر الإسلام وحبه لمحمد صلى الله عليه وسلم. لقد عدل المطعم وقومه عن فكرة زواج جبير بن مطعم من عائشة بنت أبي بكر خوفاً من الإسلام، فقد كانوا كافرين.

لقد عجز المطعم عن هذا الخوف لأبي بكر، الذي رفع الله تعالى عنه الحرج، وبذلك أصبح أبو بكر حراً في تزويج عائشة من يشاء من الرجال. وهكذا وافق أبو بكر على طلب محمد صلى الله عليه وسلم الزواج من ابنته عائشة (٣)

---

(١) الإصابة ٤/٣٥٩
(٢) الإصابة ٤/٣٥٩
(٣) الإصابة ٤/٣٥٩

عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أريتك في المنام ثلاث ليال. جاءني بك الملك في سرقة (١) من حرير فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه (٢)

وحينما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة كانت سنها تسع سنوات (٣) وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة (٤)

وقد أسلمت عائشة صغيرة بعد ثمانية عشر إنساناً ممن أسلم (٥)

توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة سبع وخمسين. وقيل سنة ست وخمسين. وقيل سنة ثمان وخمسين. وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه. وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً. فدفنت من ليلتها بعد الوتر. واجتمع على جنازتها أهل المدينة وأهل العوالي وقالوا: لم نر ليلة أكثر ناساً منها (٦)

---

(١) سرقة: بفتح السين والراء: قطعة بيضاء من الحرير.
(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٨٩، حديث رقم ٢٤٣٨
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٥١ والإصابة ٤/٣٥٩
(٤) الإصابة ٤/٣٥٩
(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٥١
(٦) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٥١

وعن عائشة قالت: أُعطيتُ خلالاً ما أُعطيتها امرأة ملكني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع، وأتاه الملك بصورتي في كفه لينظر إليها، وبنى بي لتسع، وأتيت جبرائيل، وكنت أحب نسائه إليه، ومرضته فقبض، ولم يشهده غيري والملائكة (١) وروي من طريق آخر أن عائشة قالت: فضلت بعشر، فذكرت مجيء جبريل بصورتها، قالت: ولم ينكح بكراً غيري، ولا امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، وقبض بين سحري ونحري، في بيتي، وفي ليلتي، ودفن في بيتي (٢) وجاءت زيادة في ترتيب الأسماء واللغات (٣) وأنها بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدت بمكة، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقاً.

وكان مسروق (٤) إذا روى عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، المبرأة من السماء، رضي الله عنها (٥)

---

(١) الإصابة ٤/٣٦٠
(٢) الإصابة ٤/٣٦٠
(٣) ٢/٣٥١
(٤) من كبار التابعين الإصابة ٤/٣٦١
(٥) ترتيب الأسماء واللغات ٢/٣٥١

وروي أن عمر رضي الله تعالى عنه زار عائشة على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أيضا وقال: إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

وكانت رضي الله تعالى عنها القمة من الزهد. أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت: أتيت عائشة بمائة ألف. ففرقتها وهي يومئذ صائمة فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه، فقالت: لو كنت أذكرة لفعلت (٢)

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (٣) قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق. فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد. وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه. والمراد بالفضيلة نفعه، والتلذذ منه، وسهولة مساغه، والالتذاذ به، وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك. فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة. وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة (٤)

---

(١) الإصابة ٤/ ٣٦٠

(٢) الإصابة ٤/ ٣٦١

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٦ حديث رقم ٢٤٣١ وانظر ٤/ ١٨٩٥ حديث رقم ٢٤٤٦ وانظر فتح الباري ٧/ ١٠٦ حديث رقم ٣٧٦٩ ورقم ٣٧٧٠

(٤) حاشية صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٧

وروي أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام. فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. ترى ما لا أرى، تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

وروى الإمام البخاري (٢) أن الناس كانوا يتحرّون بهداياهم يوم عائشة. قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان، أو حيث ما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم. قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له: ثم، فأعرض عني، فلما كان من الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها.

والنبي صلى الله عليه وسلم حينما بنى مسجده في المدينة المنورة جعل له ثلاثة أبواب، جعل له بابين شاراعين (٣)، باب عائشة. والباب الذي يقال له باب عاتكة. وجعل باباً في مؤخر المسجد يقال له باب

---

(١) فتح الباري ٧/ ١٠٦ حديث رقم ٣٧٦٨ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٩٥ رقم ٢٤٤٦

(٢) فتح الباري ٧/ ١٠٧ حديث رقم ٣٧٧٥ وانظر صحيح مسلم ٧/ ١٨٩١ حديث رقم ٢٤٤١

(٣) شارعين: يطل كل من البابين على شارع رئيس.

مُلَيكة . وهن بيوتاً إلى جنبه بالليل ، وسقفها بجذوع النخل (١)

وقد كفل النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بأم عبد الله . كنا ها بابن أختها عبد الله بن الزبير (٢)

وروى الإمام البخاري (٣) عن عبيد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان في مرضه جعل يدور من نسائه ويقول : أين أنا غداً ؟ حرصاً على بيت عائشة . قالت عائشة ، فلما كان يومي سكن . ومعنى سكن : سكت عن ذلك القول (٤)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي صغر سن أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها .

روى الإمام البخاري (٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستُرني برداءه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا التي أسأم . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو .

وفي صحيح مسلم في أبواب قيام الليل عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل . قالت وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته (٦)

---

(١) معجم البلدان . مدينة يثرب ٥/٨٦

(٢) الإصابة ٤/٣٦٠ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٥١

(٣) فتح الباري ٧/١٠٧ حديث رقم ٣٧٧٤

(٤) فتح الباري ٧/١٠٨

(٥) فتح الباري ٩/٢٣٦ حديث رقم ٥٢٣٦

(٦) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٥١

علم أمّ المؤمنين :

الإسلام دين العلم . والمعروف أنه لم يحتفِ دين بالعلم كما احتفى الإسلام . وما أكثر الأدلة على ذلك . لننظر إلى أوّل ما نزل من القرآن الكريم على قلب محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم . إن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق فيها احتفاء بالقراءة باسم الله تعالى ، وبالتعليم بالقلم ، وبتعليم الله تعالى الإنسان ما لم يعلم . هذا إلى الحديث عن إحدى المراحل المبكرة من عمر الجنين في رحم أمّه . وهي مرحلة لم يكتشف العلم إلا بعد أكثر من ألف عام من نزول القرآن الكريم .

ثم إن أوّل قسم في القرآن الكريم بالقلم . قال تعالى (١) : ﴿ ن . والقلم وما يسطرون ﴾ ثم إن لفظة علم ومتعلقاتها وردت في القرآن الكريم زهاء ثمانمائة مرة . وبعد احتفاء القرآن الكريم بأسس العقيدة ما احتفى القرآن الكريم بشيء كما بالعلم . فأنت تجد في سورة طه - مثلاً - قوله تعالى (٢) : ﴿ وقل ربّ زدني علماً ﴾ وفي سورة البقرة قوله تعالى (٣) : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وقوله تعالى (٤) : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء . ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً . وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ وفي مجال الثناء على العلم جاء

---

(١) سورة القلم ١

(٢) سورة طه ١١٤

(٣) سورة البقرة ٢٨٢

(٤) سورة البقرة ٢٦٩

قوله تعالى في سورة الزمر (١) : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ وفي مجال الثناء على العلماء جاء قوله تعالى في سورة فاطر (٢) : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء . إن الله عزيز غفور ﴾

ولم يورث الأنبياء ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم.

وإن زوجات محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد ورثن عنه صلى الله عليه وسلم العلم وتوريثه . ويكفي أن نعلم أن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن قد نقلن عنه صلى الله عليه وسلم ثلث دين الإسلام (٣) وصف رضوان الله تعالى عليهن نشرن الإسلام ونشرن العلم . ونحن على ذكر بأن بعض الإحتياطات بشأن سكان شبه جزيرة العرب على عهده صلى الله عليه وسلم تصل بالسكان إلى بضعة ملايين . ونصف السكان نساء . وهنا برز دور أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن .

وتأتي أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها على رأس أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن أجمعين . وإذا كانت تأتي على رأس أمهات المؤمنين فالسيدة عائشة هي أعلم نساء الأمة الإسلامية على الإطلاق . وكثير من القضايا إنما تنضج فيها المرأة في مجال الخصوصيات على جهة التحديد .

---

(١) سورة الزمر ٩

(٢) سورة فاطر ٢٨

(٣) من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٢

والله سبحانه وتعالى نسأل لعلماء الصحابة رجالاً ونساءً من الأجل والبارك في العمل (١) ويكفي أن نلقي نظرة على عدد من رَوَوا من الصحابة أحاديثه صلى الله عليه وسلم، كي نتبين هذه الحقيقة، وكي نتبين أنه لا يسبق السيدة عائشة رضوان الله تعالى عليها في مجال رواية الحديث النبوي الشريف سوى رجلين اثنين. وإليك قائمة بالمكثرين من رواية الحديث النبوي الشريف، وتنبيه لأعداد الأحاديث وسنوات الوفاة.

أسماء الرواة من الصحابة	عدد مروياتهم	سنة وفاتهم
١- أبو هريرة	٥٣٧٤	٥٩ هـ ✓
٢- عبد الله بن عباس	٢٦٦٠	٦٨ هـ ✓
٣- عائشة الصديقة	٢٢١٠	٥٨ هـ ✓
٤- عبد الله بن عمر	١٦٣٠	٧٣ هـ ✓
٥- جابر بن عبد الله	١٥٦٠	٧٨ هـ ✓
٦- أنس بن مالك	١٢٨٦	٩٣ هـ ✓
٧- أبو سعيد الخدري	١١٧٠	٧٤ هـ (٢)

ومَنْ يَعْرِفُ الإنسانَ مِثْلُ زوجه، ومن يعرف أسراره مثل زوجه. وقد أَذِنَ المصطفى صلى الله عليه وسلم لكل صحابي وصحابية أن يروي عنه من الأقوال كل ما سمع، وبخاصة الزوجات، فلا يقول صلى الله عليه وسلم إلا الصدق. وأن يروي عنه كل ما فعل، فلا يفعل صلى الله عليه وسلم إلا الحق.

---

(١) الرسالة المحمدية ٤٧ ✓

(٢) الرسالة المحمدية ٤٧ ✓ صح

وهكذا يتبين أن عائشة رضي الله تعالى عنها المرأة الوحيدة مع المكثرين من رواية الحديث النبوي الشريف (١)
إن أم المؤمنين عائشة هي التي صحبت الرسول تسع سنوات، وكانت أحب أزواجه إليه بعد خديجة (٢)
ومن الطبيعي أن تكون أكثر أمهات المؤمنين رواية لحديث النبوي الشريف، ومن الطبيعي أن يروي أمهات المؤمنين ثلث هذا الدين، ومن الطبيعي أن تكون أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب (٣)
وقد روى عن عائشة خلق كبير من الصحابة والتابعين (٤)
ولعائشة خطب ومواقف. وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرا. وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم (٥) وكان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصديقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله (٦) وعن مسروق، رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض (٧) وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس،

---

(١) انظر الرسالة المحمدية ص ٧٤
(٢) الرسالة المحمدية ص ٦٩
(٣) الأعلام ٣/٤٠
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٥١
(٥) الأعلام ٣/٤٠
(٦) الإصابة ٤/٣٦٠
(٧) الإصابة ٤/٣٦٠

وأحسن الناس رأياً من العامة (١) وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه، ولا بطب، ولا بشعر من عائشة (٢) وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علماً (٣) وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل (٤)

وبشأن الأحاديث التي روتها أم المؤمنين عائشة اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً. وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بثمانية وستين (٥)

---

(١) الإصابة ٤/ ٣٦٠

(٢) الإصابة ٤/ ٣٦٠

(٣) الإصابة ٤/ ٣٦٠

(٤) الإصابة ٤/ ٣٦٠

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٤/ ٣٥١

غارت أمكم:

الغَيْرَة ظاهرة صحية حينما تكون بحق وبالقدر المعقول والغيرة تكون من العادة على الأعراض. وأكثر ما تكون الغيرة بين الزوجات، بقصد كسب الزوجة قلب زوجها بأكثر من غيرتها. وكذلك تكون الغيرة من الأزواج. جاء في صحيح البخاري (١) قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني. جاء في كتاب ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢) بشأن: غير مصفح: يقال أصفحه بالسيف إذا ضربه به بعرضه دون حده، فهو مُصْفِح، والسيف مُصْفَح. ويروى بالفتح أيضاً، أي يقال: غير مصفَح، بفتح الفاء، أي غير جاعل السيف يضرب بعرضه. وبكسر الفاء، أي غير ضارب أنا بعرض السيف.

ولم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عند الرضا عن غيرة سعد بن عبادة، إنما أضاف إلى ذلك غيرته، وأشد من غيرة سعد، وأضاف أخيراً غيرة الله تعالى الأشد منهما.

وهذا الحديث دليل على مشروعية الغيرة بالحق.

والغيرة أصل في المرأة في مجال الضرات على جهة الخصوص، وقد كان بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم غيرة. وكأن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها تقدم

---

(١) فتح الباري ٩/ ٣١٩

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٤

غيرها في هذا المجال، ربما بسبب امتلاكها قلب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة أن هناك الكثير من اللطائف بشأن غيرة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بعامة، وغيرة أم المؤمنين عائشة بخاصة.

وباعتبار السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها محور هذه اللطائف والطرائف غالبا، فإننا نود أن نومئ إلى بعض مظاهر هذه الغيرة.

وأولى لطائف أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها هي أنها وحدها ملكت قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلن هذا ولا يخفيه، والله تعالى قد عفا عن ميل القلب، لأن المرء لا يملك قلبه، إنما يملك الله تعالى، فقد أراد أمنا عائشة رضي الله عنها أن تعلم هل منزلتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم تتقدم منزلة أمنا خديجة رضي الله تعالى عنها، التي ماتت قبل ثلاث سنوات من زواجه صلى الله عليه وسلم بعائشة، أم أن منزلة أمنا خديجة هي التي تتقدم. وإليك هذه الأحاديث:

ترى الإمام البخاري (١) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما غِرتُ على امرأة ما غِرتُ على خديجة (٢) وقد هلكت (٣) قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت

---

(١) فتح الباري ٧/٣٥ حديث رقم ٣٦٠٤ وانظر ١٢/٥٣ حديث رقم ٧٤٨٤ وصحيح مسلم ٤/١٨٨٨ حديث رقم ٢٤٣٢

(٢) على خديجة: من خديجة، فأقام على مقام من. فتح الباري ١٠/٤٣٥

(٣) هلكت: ماتت.

أن سمعه يذكرها. ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت من الجنة من قصب (١) وإن كان (٢) ليذبح الشاة ثم يهدي من خلتها (٣) منه.

وجاء في صحيح مسلم (٤) قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة. قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد رزقت حبها.

وجاء في الإصابة (٥): "وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة ما لم يثن على غيرها. وذلك من حديث عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها. فذكرها يوما من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها. فغضب ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بي إذ كفر الناس. وصدقتني إذ كذبني الناس. وواستني بمالها إذ حرمني الناس. ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء. قالت عائشة: فقلت في نفسي لا

---

(١) من قصب: من لؤلؤ.
(٢) وإن كان: وإنه كان.
(٣) من خلتها: من صديقاتها.
(٤) ٤/١٨٨٨، حديث رقم ٢٤٣٥
(٥) الإصابة ٤/٢٨٣، وانظر فتح الباري ١٠/٤٣٦

أذكرها بعدها بسنة أو بأكثر."

وجاء في صحيح مسلم (١) عن عائشة قالت: "استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك فقال: اللهم! هالة بنت خويلد، فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من قريش، حمراء الشدقين (٢) هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيرا منها."

وجاء في صحيح مسلم (٣): "عن عائشة قالت: لم يتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت."

لقد أدركت عائشة رضي الله تعالى أن منزلتها في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم تلي منزلة خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، التي توفيت قبل أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث سنوات، وهذا يدل على شدة رهافة إحساس السيدة عائشة وعظيم غيرتها، رضي الله تعالى عنها.

---

(١) ٤/١٨٨٩، حديث رقم ٢٤٣٧

(٢) حمراء الشدقين: معناه عجوز كبيرة جداً، حتى سقطت أسنانها من الكبر، ولم يبق لشدقيها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيهما حمرة لثاتها. والشدق: جانب الفم حيث تحت الخد.

(٣) ٤/١٨٨٩ حديث رقم ٢٤٣٦

وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة تسع، وهن:

١- عائشة بنت أبي بكر.
٢- حفصة بنت عمر.
٣- أم حبيبة بنت أبي سفيان.
٤- سودة بنت زمعة.
٥- أم سلمة بنت أبي أمية.
٦- ميمونة بنت الحارث الهلالية.
٧- زينب بنت جحش الأسدية.
٨- جويرية بنت الحارث المصطلقية.
٩- صفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية (١)

وقد تبين العلماء لطيفة لهذا زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وما أكثر اللطائف. وهذه اللطيفة هي أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن حزبين اثنين.

الحزب الأول تتزعمه عائشة رضي الله تعالى عنها، وأعضاؤه سودة، وحفصة، وصفية. رضوان الله تعالى عليهن أجمعين.

والحزب الآخر تتزعمه زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، وأعضاؤه أم سلمة والباقيات الصالحات، رضوان الله تعالى عليهن أجمعين (٢)

وقد كان التنافس على أشده بين الزعيمتين (٣) وقد كانت عائشة تنتصر دائما، رضي الله تعالى عنها.

---

(١) تأملات في سورة الأحزاب ٦٦
(٢) انظر فتح الباري ٩/٣٧٦
(٣) انظر هنا صحيح مسلم ٤/١٨٩٤ حديث رقم ٢٤٤٢

ومن اللطائف أن الغيرة تكون بين العنصرين من الحزب الواحد، كما تمت بين عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما.

تخرج الإمام مسلم (١) عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج أقرع بين نسائه. فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجنا معه جميعًا. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى. فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة، وعليه حفصة، فسلم ثم سار معها، حتى نزلوا. فافتقدته عائشة فغارت. فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر (٢) وتقول: يا رب! سلط علي عقربًا أو حية تلدغني. رسولك (٣) ولا أستطيع أن أقول له شيئًا.

وأحيانًا تكون الغيرة بين زعيمتي الحزبين، بين عائشة وزينب، رضي الله تعالى عنهما. روى الإمام البخاري (٤) عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه (٥) فأرسلت

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٨٩٤ حديث رقم ٢٤٤٥

(٢) الإذخر: نبت معروف توجد فيه الهوام غالبًا في البرية.

(٣) رسولك: التقدير: هو رسولك.

(٤) فتح الباري ٩/٣٢٠ حديث رقم ٥٢٢٥

(٥) عند السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها. فتح الباري ٩/٣٢٤

إحدى أمهات المؤمنين (١) بصحفة (٢) فيها طعام. فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت. فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي في الصحفة ويقول: غارت أمكم. ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها. فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صفحتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه.

وبسبب شدة غيرة أمهات المؤمنين من عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم القمة في المزاحة قولاً وفعلاً بميل قلبه إلى السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها. فها هو ذا صلى الله عليه وسلم يقول صراحة لزوجه أم سلمة رضي الله تعالى عنها: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة. وسبق أن ذكرنا من نسب أم المؤمنين وحياتها، الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه (٣) ومفاده أن الناس كانوا يتحرون يوم عائشة بهداياهم. وقد أراد أمهات المؤمنين أن ينلن الخير نفسه وكلفن أم سلمة أن تنقل إليه صلى الله عليه وسلم هذه الرغبة. أعرض صلى الله عليه وسلم عن أم سلمة مرة وأخرى وفي المرة الثالثة

---

(١) زينب بنت جحش.
(٢) الصحفة: إناء من آنية الطعام.
(٣) فتح الباري ٧/١٠٧ حديث رقم ٢٧٧٥

والأخيرة قال صلى الله عليه وسلم: «يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم مرة لفاطمة ابنته سرا إلى عائشة: «فاحبي هذه».

روى الإمام مسلم في صحيحه (١) أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة (٢) وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي بنية، ألست تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى. قال: فأحبي هذه. قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلن لها: ما نرى أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة.

---

(١) ٤/١٨٩١ حديث رقم ٢٤٤٢.

(٢) أي يسألنك التسوية في محبة القلب.

فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا. قالت عائشة: فأرسلت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي كانت تساميني (١) منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة (٢) من حدة (٣) كانت فيها، تسرع منها الفيئة (٤) قالت: فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت: ثم وقعت بي (٥) فاستطالت علي. وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر. قالت فلما وقعت بها لم أنشبها (٦) حين (أو حتى) أثخنت

---

(١) تساميني: مأخوذ من السمو وهو الارتفاع أي تعادلني.
(٢) سورة: عجلة الغضب.
(٣) حدة: حدة.
(٤) الفيئة: الرجوع والاتصاف على الغضب.
(٥) وقعت بي: نالت مني بالوقيعة فيّ.
(٦) لم أنشبها: لم أمهلها.

عليها (١) قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم: إنها ابنة أبي بكر. وفي رواية (٢): "لم أنشبها أن أخذتها غلبة".

وبباعث الغيرة يتحد الزبان أحياناً ضرة لزوجة محتملة فهذه أسماء بنت النعمان بن الأسود الكندية الجونية أحست عائشة وأم سلمة بخطرها لو تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فاتحدن بزعامة عائشة ونصحنها أن تستعيذ بالله إذا ما دخل عليها. ففعلت أسماء ذلك، فصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه عنها وقال: لقد عُذْتِ بمعاذ (٣) وعاذرها من لحظته. وأمر أن تُمتّع وتُلحق بأهلها.

علم النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث فلم يملك صلى الله عليه وسلم إلا أن يبتسم ويقول: إنهن صواحب يوسف، وإن كيدهن عظيم (٤)

على أن أكبر مظاهر الغيرة التي كان لها أثر غير حسن عند النبي صلى الله عليه وسلم، حتى نزلت بهذه المناسبة سورة

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٨٩٤

(٢) أنشبتها: قهرتها.

(٣) معاذ: ملجأ.

(٤) تراجم سيدات بيت النبوة ٢٧٨ ص

التحريم، هو تحالف الحزب الذي ترأسه عائشة رضي الله تعالى عنها، ضد زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، التي ترأس الحزب الآخر. وهذا التحالف جاءت الإشارة إليه في بعض الروايات الصحاح. ونحن بإذن الله تعالى سنعتمد هذا الرأي. علما بأن ذلك لا يؤثر على الآيات الكريمات بشيء من التوسع في التفسير البسيط للقرآن الكريم ٢٨/٩٠-٣٦ (١) وفي قصيدة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها من الصفحات ١٢-١٧ (٢) وسنشير لها بشيء من الإختصار. وسنقوم هنا بذكر الآيات الكريمات، وذكر الصور النضرة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

---

(١) التفسير البسيط للقرآن الكريم ٢٨/٩٠-٣٦ في موقعي من النت..

(٢) قصيدة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ١٢-١٧ مخطوط

ومما جاء من أسباب النزول ما رواه الإمام البخاري في صحيحه (١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ (٢) إني أجد منك ريح مغافير. قال: لا. ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش، فلن أعود له. وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً.

وجاء هذا المعنى في حديث آخر للإمام البخاري (٣) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً. فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له فقال: لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له. فنزلت: ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ إن تتوبا إلى الله ﴿ لعائشة وحفصة ﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴾ لقوله: بل شربت عسلاً. وقال إبراهيم بن موسى عن هشام: "ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً".

---

(١) فتح الباري ٨/٥٦٧ حديث رقم ٤٩١٢

(٢) المغافير جمع مُغفور، بضم الميم، صمغ حلو له رائحة كريهة. فتح الباري ٩/٣٧٧ ويُستخرج من شجرة العُرفُط.

(٣) فتح الباري ١١/٥٧٤ حديث رقم ٦٦٩١

وذكر الطبري في تفسيره (١) ما معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما حرم سُرّيته مارية القبطية إرضاءً لحفصة بنت عمر.

إن حفصة، رضي الله تعالى عنها كانت حبيبة عائشة رضي الله تعالى عنها، فأفشت إليها سر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة. ويُفهم من آيات سورة التحريم أن حفصة رضي الله تعالى عنها أفشت لعائشة غير هذا من أسرار النبي صلى الله عليه وسلم. وقد نبأ النبي صلى الله عليه وسلم حفصة ببعض ما نبأه الله تعالى من أسراره كشفتها، وأعرض عن كشف البعض الآخر من الأسرار تغفلها.

إن كشف حفصة رضي الله تعالى عنها لعائشة رضي الله تعالى عنها تلك الأسرار قد أزعج النبي صلى الله عليه وسلم إزعاجاً كبيراً حتى إن سورة التحريم نزلت في هذه المناسبة.

وهذا معنى الآيات الكريمات بإيجاز، والله تعالى أعلم.

يا أيها النبي الكريم، لِمَ تحرم ما أحل الله تعالى لك من شرب العسل، أو الاتصال بسُرّيتك مارية القبطية، تبتغي مرضاة زوجاتك. والله تعالى غفور ذنب من استغفره، رحيم به حينما يرشده إلى التوبة ويتنصل منه. قد فرض الله تعالى لكم يا أفراد الأمة المحمدية تحلة أيمانكم، وهذا تحل به عقدة أيمانكم من الكفارة (٢) وتحليلها بالكفارة المذكورة في الآية الكريمة التاسعة والثمانين

---

(١) تفسير الطبري ٢٨ / ١٠١

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني: «حلل» ١ / ١٧٠

من سورة المائدة الكريمة (١) في قوله تعالى: ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾

ويلاحظ أن ثمة تدرجاً من يسير الكفارة إلى صعبها رعاية لمبدأ التخيير (٢)

والله تعالى مولاكم أيها المؤمنون وناصركم، وهو عز وجل العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الحكيم في كل شيء..

واذكر إذ أسر النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض أزواجه حديثاً، بشأن تحريم العسل أو مارية القبطية، وهذه الزوجة حفصة بنت عمر، فلما نبأت حفصة به عائشة، رضي الله تعالى عنها، وأظهر الله تعالى النبي محمداً عليه، عرف النبي محمد حفصة بعضه وسكت عن بعض، تعففاً منه صلى الله عليه وسلم وتكرماً. فلما نبأها به قالت في استنكار: من أنبأك هذا، ظناً منها أن عائشة كاشفت السر. قال النبي صلى الله عليه وسلم نبأني الله تعالى العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الخبير، الذي يعلم بواطن الأمور كظواهرها.

إن تتوبا إلى الله تعالى يا عائشة ويا حفصة مني إتيان ما يزعج محمداً صلى الله عليه وسلم فقد مالت قلوبكما إلى ما يزعجه صلى الله عليه وسلم، فتوبا، والله تعالى يقبل توبة

---

(١) تفسير القرطبي ٦٦٤

(٢) التفسير البسيط للقرآن الكريم ٧/٤٦

عباده ، يعفو عن السيئات . وإن تتعاونا يا عائشة ويا حفصة على محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى هو وليه ومولاه ، وجبريل عليه السلام ، وصالح المؤمنين ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ومعين .

عسى ربه محمد صلى الله عليه وسلم ، وعسى من الله تعالى موجبة ، والله تعالى على كل شيء قدير ، عسى ربه محمد إن طلقكن محمد صلى الله عليه وسلم أن يبدله أزواجاً خيراً منكن في فضل ، مسلمات لله تعالى رب العالمين ، مؤمنات قد طبقن كل أركان الإيمان ، مطيعات لله تعالى ، تائبات إلى الله تعالى راجعات إليه بالتوبة النصوح ، عابدات لله تعالى خاضعات خاشعات متذللات ، صائمات أو سائحات ذهنياً ومعنوياً بالتفكر في ملكوت الله تعالى ، أو سائحات حسياً في السير في الأرض بالنظر والتدبر ، ثيبات قد تزوجن من قبل ، وأبكاراً لم يتزوجن من قبل (١)

(١) التفسير البسيط للقرآن الكريم ٢٨ / ٣٠٦

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾

بعد أن نصر الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم والمسلمين في نهاية سنة خمس من الهجرة على الأحزاب وعلى يهود بني قريظة وأصبحت للنبي صلى الله عليه وسلم الكلمة الأولى والسيد العليا في جزيرة العرب تعرض البيت النبوي الشريف لأكبر هزة عائلية تصادفه، وقد نجاه الله تعالى بفضله منها ومن كل كرب. لقد أراد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون لهن حظ من الدنيا شبيهٌ بحظ زوجات كسرى وقيصر، فالنبي صلى الله عليه وسلم أجل شأناً وأعظم خطراً. فأحاط زوجات النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً به صلى الله عليه وسلم، وطلبن منه صراحةً زيادة النفقة.

إن محمداً صلى الله عليه وسلم إمام المتقين وسيد الزاهدين، وليس لهذه الدنيا أدنى قيمة في نفسه صلى الله عليه وسلم. لقد استاء صلى الله عليه وسلم من هذا الطلب الذي لم يُراعِ كونه رسولاً وليس ملكاً. وغضبت النبي صلى الله عليه وسلم من زوجاته، وآلى، أي أقسم، أن يهجرهن شهراً.

ذاع في المدينة أن النبي صلى الله عليه وسلم غضب من زوجاته، وهذا صحيح، وأنه صلى الله عليه وسلم قد طلقهن، وهذا غير صحيح. وقد حزن المسلمون لهذا النبأ حزناً شديداً. وقد بيّن عمر رضي الله تعالى عنه الحقيقة للمسلمين، بإذن منه صلى الله عليه وسلم.

وقد نزلت عن هذه المناسبة من سورة الأحزاب الآيات الكريمات ٢٨-٣٥.

وقد تحدثت الآيات الكريمات في معنيين اثنين.

المعنى الأول تحدثت فيه الآيتان الكريمتان ٢٨ و ٢٩ وهو تخيير النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته بين إرادة الحياة الدنيا وزينتها كي يمتعهن صلى الله عليه وسلم ويسرحهن سراحا جميلا. وبين إرادة الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة فإن الله تعالى أعد للمحسنات منهن أجرا عظيما.

والمعنى الآخر تحدثت فيه بعد ذلك الآيات الكريمات ٣٠-٣٥ وهو تبيين حقوق أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن وواجباتهن. وهن يتقدمن في كل حقل نساء الأمة.

وسبق لنا أن درسنا الآيات الكريمات في مناسبتين اثنتين. المناسبة الأولى وكانت الدراسة مستفيضة، وذلك من كتاب: تأملات في سورة الأحزاب من المقطعات ٢٦-٣٤ والمناسبة الأخرى، وكانت الدراسة موجزة، وذلك من التفسير البسيط للقرآن الكريم الجزء الحادي والعشرين من المقطعات ٨-١٠ و ١٩-٢٠ و ٢٣-٢٧ والجزء الثاني والعشرين من المقطعات ١-١٩ و ٣٧-٥١

ونحن في هذه المناسبة الثالثة نود أن نتحدث في معنيين اثنين

المعنى الأول وصف الغرفة التي قضى فيها النبي صلى الله عليه وسلم الشهر الذي آلى فيه من نسائه.

والمعنى الآخر تفسير موجز للآيات الكريمات، فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها هي محور كل الآيات الكريمات.

ونبدأ بوصف الغرفة التي قضى النبي صلى الله عليه وسلم

فيما اشتهر، وسنكتفي بالاقتباس من الحديث المتفق عليه.
والحديث في صحيح الإمام البخاري (١) وفي صحيح الإمام مسلم (٢)
وصف الغرفة أو الخزانة على لسان عمر رضي الله تعالى عنه.
فنسلم غرفة النبي صلى الله كما جاء في صحيح مسلم (٣) عبارة
عن: ((نقير (٤) من خشب. وهو جذع يرقى عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وينحدر)) يقول عمر بعد أن أذن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول (٥): ((فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على
حصير. فجلست. فأدنى عليه إزاره. وليس عليه غيره.
وإذا الحصير قد أثر في جنبه. فنظرت ببصري في خزانة
رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا أنا بقبضة
من شعير نحو الصاع. ومثلها قرظا (٦) في ناحية الغرفة
وإذا أفيق (٧) معلق. قال: فابتدرت عيناي (٨) قال
ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت يا نبي الله، ومالي
لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك

---

(١) فتح الباري ٨/٦٥٧ حديث رقم ٤٩١٣
(٢) صحيح مسلم ٢/١١٠٥ حديث رقم ١٤٧٩
(٣) ٢/١١٠٦
(٤) نقير: خشب نقر وسطه حتى يكون كالراجة والمقصود جذع النخلة
(٥) صحيح مسلم ٢/١١٠٦
(٦) القرظ ورق شجر السلم يدبغ به.
(٧) أفيق كأديم: الجلد الذي لم يتم دباغه.
(٨) أي لم أتمالك أن بكيت حتى سالت دموعي.

لا أرى فيها إلا ما أرى. وذاك قيصر وكسرى من الثمار والأنهار وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وهذه خزانتك. فقال: يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا! قلت: بلى ... ثم نزل نبي الله صلى الله عليه وسلم ونزلت، فنزلت أتشبث (١) بالجذع. ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده. فقلت يا رسول الله. إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين. قال: إن الشهر يكون تسعا وعشرين (٢).

ونتحول مستعينين بالله تعالى إلى المعنى الآخر وهو التفسير. ونبدأ بالآيتين الكريمتين اللتين فيهما التخيير. قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

المعنى، والله تعالى أعلم: يا أيها النبي العظيم. قل لزوجاتك اللواتي طلبن منك المزيد من النفقة، وأنت التي لا تملكها لأنك لا تريد الحياة الدنيا، إن كنتن تُرِدْنَ الحياة الدنيا وزينتها، فتعالين معزّزاتٍ مكرّمات، أعطيكن متعة الطلاق، وأطلقكن طلاق سُنّة، وأسرحكن سراحاً جميلاً.

---

(١) أتشبث: أمسك بذلك الجذع الذي هو السُّلّم للغرفة.
(٢) يكون تسعاً وعشرين أي ليلة.

وإن كنتن ترِدْنَ الله تعالى ، ورسوله صلّى الله عليه وسلّم والدار الآخرة فإن الله تعالى أعدّ للمحسنات منكنّ أجرًا عظيمًا ، ممّا لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ويلاحظ أنّ التخيير جاء في آيتين كريمتين ، وأنّ آية واحدة خصّت كلًّا من الدنيا والآخرة . وليس كذلك الحديث عن واجبات أمّهات المؤمنين وحقوقهنّ ، فإنّ الحديث طويل . فإلى الآيات الكريمات التي تتحدّث عن الواجبات والحقوق

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾
۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

وَالْقَٰنِتِينَ وَالْقَٰنِتَٰتِ وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ
وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، يانساء النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم، من يأتِ منكنّ بفاحشة واضحة، من نشوز وسوء خُلُق، يضاعف لها العذاب ضعفين، ويكون لها مثلا ما للنساء الأخريات من عقاب. وكان ذلك العذاب يسيرًا على الله تعالى. ويلاحظ مجيء جملة يأتِ هنا. والمعروف أنّ جملة أتى لا تستعمل في القرآن الكريم إلّا دليلاً على البعد الزمانيّ، والمكانيّ، والمعنويّ. وما أبعد الصفات السيّئة عن أمّهات المؤمنين، رضوان الله تعالى عليهنّ أجمعين. وجملة أتى يرتبط بها جملة جاء صِنْوها. ومعناها عكس جملة أتى. وجملة جاء لا تستعمل في القرآن الكريم إلّا دليلاً على القرب الزمانيّ والمكانيّ، والمعنويّ. وهذه النظريّة القرآنيّة اللغويّة، أكرمني الله تعالى بالتشافها في أثناء دراستي المتأمّلة لسورة الحاقّة، في كتابي: تأمّلات في سورة الحاقّة، الذي كتبتُ مقدّمته يوم الأحد العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ وذلك في أثناء دراسة الآيتين الكريمتين ٩ و١٠ قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَٰتُ بِالْخَاطِئَةِ. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ وتبيّن

هذه النظرية من كتاب تأملات في سورة الحاقة من الصفحات ٤٩ - ٥٨ ولله تعالى الحمد والمنة (١)

ومن يلزم منكن يا زوجات محمد صلى الله عليه وسلم الخضوع والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وتعمل صالحا يؤتها الله تعالى أجرها مرتين وأعتد لها رزقا كريما من الجنة.

يا نساء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إن الجماعة الواحدة منكن لفضلها ليست كالجماعة الواحدة من النساء المسلمات، وإن الواحدة منكن رضعان الله تعالى عليكن، ليست كالواحدة من النساء المسلمات. إن أمهات المؤمنين، الأسوة الحسنة لكل مؤمنات، إن اتقين الله تعالى، وهن الأسوة الحسنة من كل خير، عليهن أن يخضعن بالقول للرجال غير المحارم، ولا يليق الكلام حينما تضطر الواحدة منهن لمخاطبة الرجال الأجانب، كيلا يطمع فيهن الذي في قلبه مرض النفاق، وعليهن أن يقلن القول المعروف شرعا، وعقلا، وعرفا.

وعلى أمهات المؤمنين أن يبقين في بيوتهن، وعليهن أن لا يتبرجن تبرج نساء الجاهلية الأولى. فقد كانت المرأة في الجاهلية تتعمد أن تكشف عن زينتها، كي تبدو حلوة في عيون الرجال الأجانب. وعلى أمهات المؤمنين أن يقمن الصلوات المفروضة، وأن يعطين الزكاة أصحابها، وهم الفئات الثمان، وأن يطعن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة. إن الله سبحانه وتعالى إنما يريد أن يذهب عنكم الرجس والفحشاء يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم ويطهركم تطهيرا.

---

(١) الطبعة الأولى. القاهرة. دار الاعتصام. من العام نفسه ١٣٩٧هـ

يا نساء النبي محمد صلى الله عليه وسلم اذكرن ما يُتلى
في بيوتكن من آيات الكتاب العزيز، والسنة النبوية المطهرة.
إن الله سبحانه كان لطيفاً بكن إذ جعلكن في بيت النبوة،
خيرة الله من خلقه اصطفاكن زوجات لخاتم النبيين، وأشرف المرسلين
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ثم تأمل صفات عشر تجمعت في أخلاق الإسلام على الجميع
أن يتحلى بها، وهي الإسلام بأركانه الخمسة، والإيمان
بأركانه الستة، والقنوت بمعنى طول الدعاء في أثناء
القيام للصلاة، والصدق مع الله تعالى ومع رسوله والمؤمنين،
والصبر على الطاعات والبلاء وعن المعاصي، والخشوع لله
تعالى، وبخاصة في أثناء الصلاة، والصدقة وتقدمها
الزكاة، والصوم فرضاً ونفلاً، وحفظ الفرج إلا على
الزوج، وذكر الله تعالى ذكراً كثيراً، باللسان، والقلب،
والأعضاء.

إن من تحقق فيه هذه الصفات العشر أعد الله تعالى
له مغفرة لذنبه، وأجراً عظيماً.

إن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن، هن
الأسوة الحسنة في كل هذه الصفات.

حادثة الإفك:

أكبر بلاء تعرضت له أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها حادثة الإفك. وقد أنزل الله تعالى من فوق سبع سماوات براءتها في عشر آيات كريمات من سورة النور ١١ - ٢٠ تتلى إلى يوم القيامة. وحادثة الإفك جاءت في الكثير من المصادر، ومنها صحيحا الإمامين الجليلين البخاري ومسلم، رضي الله تعالى عنهما.

وسبق أن ذكرت حديث الإفك الطويل في مناسبتين اثنتين. المناسبة الأولى التفسير البسيط للقرآن الكريم ١٨/ ١٩١ - ٢٠٠ والمناسبة الأخرى السيرة النبوية من القرآن الكريم (سنقرأ) ٢/ ١٨ - ٢٧ ولم نكتف في المناسبة الثانية بالإحالة إلى المناسبة الأولى سعيا إلى التيسير ولذلك لا نكتفي في هذه المناسبة الثالثة بالإحالة إلى المناسبتين السابقتين، للسبب نفسه، على الرغم من طول النص. ثم إننا بصدد حادثة الإفك التي تخص أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وهي أخطر حادثة في حياة أم المؤمنين الزوجية. ثم إننا نكتب في هذا التمهيد أهم المعالم في حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها.

وبإذن الله تعالى سنقوم بعد ذلك بشرح موجز للآيات الكريمات العشر من سورة النور المدنية الكريمة.

وبشأن حادثة الإفك سنعتمد بإذن الله تعالى على رواية صحيح الإمام البخاري (١) مع شرح ما ينبغي شرحه من الهامش

---

(١) فتح الباري ٨/ ٤٥٢ حديث رقم ٤٧٥٠ وانظر تخريج الحديث في تفسير ابن كثير ٦/ ٢١ وانظر صحيح مسلم ٤/ ٢١٢٩ حديث رقم ٢٧٧٠

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا. وكل حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدق بعضا، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض.(١) الذي حدثني عروة عن عائشة رضي الله عنها أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة (٢) غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفلنا ودنونا من المدينة قافلين آذنَ (٣) ليلة بالرحيل. فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش. فلما

---

(١) إشارة إلى أن هؤلاء الأربعة أميز في سياق الحديث من بعض من جهة حفظ أكثره، لا أن بعضهم أضبط من بعض مطلقا. فتح الباري ٨/٤٥٧

(٢) هي غزوة بني المصطلق من خزاعة. فتح الباري ٨/٤٥٩ والمصطلق بكسر اللام لقب جذيمة بن سعد بن عمرو، سمي بحسن صوته، وكان أول من غنى من خزاعة. القاموس: "صلق" وغزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع. تفسير القرطبي ٤٥٩.

(٣) آذن: بالمد والتخفيف أعلم. فتح ٨/٤٥٨

قضيت شأني (١) أقبلت إلى رحلي، فإذا عقدي من جزع أظفار (٢) قد انقطع. فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي (٤) فرحلوه (٥) على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه. وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما يأكلن العلقة (٦) من الطعام. فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه. وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا. فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش (٨) فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب. فأممت (٩) منزلي الذي كنت به. وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ. فبينا

---

(١) فرغت من قضاء حاجتي فتح ٨/٤٥٩

(٢) من جزع، بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها مهملة: خرز معروف فيه سواد وبياض كالعروق واحدته جزعة بسكون الزاي فتح ٨/٤٥٨ و٤٥٩

(٣) أظفار. قال ابن قتيبة: جزع ظفاري. فأما ظفار بفتح الظاء المعجمة ثم فاء بعدها راء مبنية على الكسر فهي مدينة باليمن. فتح ٨/٤٥٩

(٤) يرحلون لي: يضعون الرحل لي. والرحل هو الذي يوضع على ظهر البعير ثم يوضع الهودج فوقه. فتح ٨/٤٥٩

(٥) فرحلوه: أي وضعوه. وفيه تجوز لأن الهودج يوضع فوق الرحل فتح ٨/٤٥٩

(٦) العلقة، بضم العين المهملة وسكون اللام ثم قاف، أي القليل. فتح ٨/٤٦٠

(٧) فبعثوا الجمل: أي أثاروه. فتح ٨/٤٦٠

(٨) استمر الجيش: أي ذهب ماضياً فتح ٨/٤٦٠

(٩) فأممت منزلي، بالتخفيف: أي قصدت فتح ٨/٤٦١

أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن المعطّل (١) السُّلمي (٢) ثم الذكواني (٣) من وراء الجيش (٤) فأدلج (٥) فأصبح عند منزلي. فرأى سواد إنسان نائم (٦) فأتاني فعرفني حين رآني. وكان يراني قبل الحجاب (٧) فاسترجع باسترجاعه حين عرفني (٨) فخمّرت وجهي (٩) بجلبابي (١٠) والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها (١١) فركبتها. فانطلق يقود بي

---

(١) بفتح الطاء المهملة المشددة فتح ٨/٤٦١

(٢) بضم المهملة فتح ٨/٤٦١

(٣) منسوب إلى ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة، بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها مثلثة، ابن سُليم. وذكوان بطن من سُليم. وكان صحابياً فاضلاً وقد ذكر ابن إسحاق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة تسع عشرة. وقيل بل عاش إلى سنة أربع وخمسين واستشهد بأرض الروم في خلافة معاوية فتح ٨/٤٦١

(٤) كان صفوان إذا رحل الجيش قام يصلي حتى الصبح ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل. فتح ٨/٤٦١ و٤٦٢ وانظر تفسير القرطبي ١٥/٩١

(٥) أي دلج وادّلج سار من آخر الليل. فتح ٨/٤٦٢

(٦) السواد يطلق على الشخص، أيّ شخص كان. فتح ٨/٤٦٢

(٧) كان الحجاب في ذي القعدة من سنة خمس فتح ٨/٤٦٢

(٨) أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، رافعاً بالاسترجاع صوته فتح ٨/٤٦٣

(٩) فخمّرت وجهي: فغطيت وجهي. فتح ٨/٤٦٣

(١٠) بجلبابي: بالثوب الذي كان عليّ فتح ٨/٤٦٣

(١١) أي ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مساعد لركوبها فتح ٨/٤٦٣

الرّحلة حتّى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين (١) في نحر الظهيرة (٢) فذلك حين هلك (٣) وكان الذي تولّى الإفك عبد الله بن أبيّ ابن سلول (٤) فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا (٥) والناس يفيضون (٦) في قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني (٧) في وجعي أنّي لا أعرف من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي (٨) إنّما يدخل عليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ يقول: كيف تيكم (٩) ثمّ ينصرف، فذاك الذي

---

(١) موغرين بضمّ الميم وكسر الغين المعجمة والراء المهملة، أي نازلين حين وقعت الوَغْرة بفتح الواو وسكون الغين، وهي شدّة الحرّ، وذلك حين تكون الشمس في كبد السماء. فتح ٨/٤٦٣.

(٢) نحر الظهيرة أوّلها وهو وقت شدّة الحرّ، ونحر كلّ شيء أوّله، كأنّ الشمس لمّا بلغت غايتها في الارتفاع كأنّها وصلت إلى النحر الذي هو أعلى الصدر. فتح ٨/٤٦٤.

(٣) أشارت بذلك إلى الذين تكلّموا بالإفك وخاضوا في ذلك. فتح ٨/٤٦٤

(٤) رأس المنافقين. وسلول أمّه. ونزل في ذمّه آيات كثيرة مشهورة. وتوفّي في زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وصلّى عليه، وكفّنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين. وإنّما صلّى عليه كرامة لابنه عبد الله الصحابيّ الجليل، وإحسانًا وكرمًا وحلمًا. تهذيب الأسماء واللغات ١/٤٦٠

(٥) تريد أنّها رضي الله تعالى عنها مرضت شهرًا. فتح ٨/٤٦٤

(٦) بضمّ أوّله، أي يخوضون، من أفاض في قول إذا أكثر منه. فتح ٨/٤٦٥

(٧) بفتح أوّله من الترّيب. ويجوز الضمّ من الإرابة. يقال: رابه وأرابه. فتح ٨/٤٦٥

(٨) أي حين أمرض. فتح ٨/٤٦٥

(٩) بالمثناة المكسورة، وهي للمؤنّث مثل ذاكم للمذكر. فتح ٨/٤٦٥

يريبني ولم أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت (١) فخرجت معي أم مسطح (٢) قبل المناصع (٣) وهو متبرزنا (٤) وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف (٥) قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول (٦) في التبرز قبل الغائط (٧) فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

---

(١) بفتح القاف وقد تكسر، والأول أشهر. والنقاهة بكسر القاف الذي أفاق من مرضه ولم تتكامل صحته فتح ٨/٤٦٥

(٢) مسطح بن أثاثة، هو بكسر الميم وإسكان السين. وأثاثة بهمزة مضمومة ثم ثاء مثلثة مكررة. وهو أبو عباد وقيل أبو عبد الله مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي. ويقال اسمه عوف ومسطح لقب له تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٩ والمسطح عود من أعواد الخباء فتح ٨/٤٦٥ واسم أم مسطح سلمى بنت أبي رهم، بضم الراء وسكون الهاء ابن المطلب ابن عبد مناف. وأم أثاثة بنت صخر بن عامر بن كعب خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. شهد مسطح بدرا وقيل شهد صفين مع علي. فعلى هذا قالوا مات سنة سبع وثلاثين تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٩ وفتح ٨/٤٦٥

(٣) جهة المناصع فتح ٨/٤٦٥ والمناصع المواضع التي يتخلى فيها للبول أو غائط أو لحاجة، الواحد منصع، لأنه يبرز إليها ويظهر لسان: «نصع» والمناصع صعيد أفيح خارج المدينة فتح ٨/٤٦٥

(٤) بفتح الراء قبل الزاي: موضع التبرز وهو الخروج إلى البراز وهو الفضاء فتح ٨/٤٦٥

(٥) بضمتين جمع كنيف وهو الستار. والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة فتح ٨/٤٦٥

(٦) بضم الهمزة وتخفيف الواو: صفة العرب فتح ٨/٤٦٥

(٧) المنخفض من الأرض حيث تقضى الحاجة لأنه أستر لسان: «غوط»

فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رُهْم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة. فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَل بيتي وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرْطها (١)، فقالت: تعِس (٢) مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبين رجلا شهد بدرا؟ قالت: أي (٣) هنتاه (٤)! أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك (٥) فازددت مرضا على مرضي. فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعني سلم ثم قال: كيف تيكم (٦)؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلهما. قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني (٧) عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة (٨) عند رجل يحبها ولها ضرائر (٩) إلا أكثرن

---

(١) مرطها: بكسر الميم، وهو كل ثوب غير مخيط يلتحف به. «مرط»

(٢) بفتح المثناة وكسر العين المهملة وبفتحها أيضا بعدها سين مهملة، أي كبت لوجهه أو هلك ولزمه الشر وبعد أقوال. فتح ٨/٤٦٧

(٣) أي: حرف نداء للبعيد وقد يستعمل للقريب حين ينزل منزلة البعيد فتح ٨/٤٦٧

(٤) هنتاه: بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح بعدها مثناة وآخره هاء ساكنة وقد تضم، أي هذه، وقيل امرأة وقيل بئر، كأنها فستبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس. وهذه لفظة تختص بالنداء وهي عبارة عن كل نكرة فتح ٨/٤٦٧

(٥) الإفك: الكذب. والبرهان تفسير الطبري ١٨/٦٨

(٦) بوزن عظيمه من الوضاءة أي حسنة جميلة فتح ٨/٤٦٧

(٧) جمع ضرة. وقيل بمعنى زوجات ضرائر لأن كل واحدة تحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة فتح ٨/٤٦٧ والضرة بفتح الضاد لسان: «ضرر»

عليها. قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟
قالت، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ (١) لي دمع، ولا
أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي. فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين
استلبث الوحي (٢) يستأمرهما (٣) في فراق أهله. قالت:
فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من
الود فقال: يا رسول الله، أهلك (٤) وما نعلم إلا خيرا. وأما
علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك
والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك (٥)
قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة (٦) فقال
أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا
والذي بعثك بالحق، إن (٧) رأيت عليها أمرا

---

(١) بالقاف بعدها همزة أي لا ينقطع فتح ٨/٤٦٧
(٢) بالرفع أي طال لبث نزوله، وبالنصب، أي استبطأ النبي صلى الله عليه وسلم نزوله فتح ٨/٤٦٨
(٣) يستشيرهما.
(٤) أهلك بالرفع أي هم أهلك، أي العفيفة التي لائقة بك فتح ٨/٤٦٨
(٥) قال النووي: لا رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي صلى الله عليه وسلم واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه فبذل جهده من النصيحة لإزالة ما خامره صلى الله عليه وسلم فتح ٨/٤٦٨
(٦) بفتح الموحدة وكسر الراء فتح ٨/٤٦٩ صولاة عائشة رضي الله عنها. قيل كانت لعتبة بن أبي لهب، روت حديثا واحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٣٢
(٧) ما رأيت عليها فتح ٨/٤٧٠

أَغْمِصُهُ (١) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن نام عن عجين أصلها فتأتي الداجن (٢) فتأكله. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر (٣) يومئذ من عبد الله بن أبيّ ابن سلول. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: يا معشر المسلمين، من يعذرني (٤) من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرا. ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا. وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ الأنصاري (٥) فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه. إن كان من الأوس ضربت عنقه. وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته (٦) الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن

---

(١) بغين معجمة وصاد مهملة أي أعيبه فتح ٨/٤٧٠

(٢) الداجن، بدال مهملة ثم جيم: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى. وقيل: هي كل ما يألف البيوت مطلقا شاة أو طيرا فتح ٨/٤٧٠

(٣) أي طلب من يعذره أي ينصفه فتح ٨/٤٧٠

(٤) من ينصرني، والعذير: الناصر فتح ٨/٤٧٠

(٥) هو سيد الأوس.

(٦) احتملته بحملة ثم مثناة ثم ميم أي أغضبته، وفي رواية: اجتهلته، بجيم ثم مثناة ثم هاء: أي حملته على الجهل. انظر فتح ٨/٤٧٠ والحمية: الغضب والأنفة لسان "حما"